ChatGPT

المراحل التربوية الثلاث من الولادة حتى 21 سنة

المرحلة الأولى (0–7 سنوات)

في الإسلام تُعَدُّ هذه سنوات الطفولة المبكرة، حيث يقول الرسول (ص) إنّ "الولد سيدٌ سبع سنين" [1] ، أي يُترك فيها الطفل للعب واللهو دون لوم أو ضغط. فالمتلقب بأنه "سيد" يعكس طبيعته البرئية المحدودة القدرات العقليّة. ولذا تُرَكز التربية على الحنان والرعاية العاطفية: فقد كان النبي (ص) يلاطف الحسن والحسين (عليهما السلام) بالقبلات ومراعاة مشاعرهما [2] . وتدعو الشريعة إلى التحبيب وعدم التشدّد، فالطفل «برّيء ولطيف» بطبيعته في هذه المرحلة [3] . من منظور علم النفس الحديث، يُعزى ذلك إلى خصائص التطور المعرفي في هذه السنّ: فالطفل يعيش مرحلة **ما قبل العمليات** (2–7 سنوات) حيث يفتقر لتنظيم منطقي للتفكير ويركز على صورته الخاصة [4] . وأثبتت الدراسات العصبية أن السنوات الأولى تشهد تكوُّنًا كثيفًا للوصلات الدماغية الأساسية، وتؤثر الاستجابة العاطفية للبالغين في بناء مهارات الطفل الاجتماعية واللغوية [5] . ولذا تؤكد التربويات المعاصرة (مثل إرشادات الـNAEYC) أن **اللعب الموجه وحوار "خدمة وردّ"** مع الطفل يرسخ تعلمه بفرح ويحفز نموه العصبي والاجتماعي [5] [6] . - **منظور ديني:** تتركَّز هذه المرحلة على إشباع الحاجات العاطفية والفيزيائية للطفل، بتجاوز زلاته لضعف عقله [3] ، وتعزيز التودد (التقبيل والمداعبة) كأساس للتنشئة الطيبة.

- **منظور نفسي:** يمر الطفل هنا بمرحلة تكوّن فيها الخبرات الحسية الأساسيات؛ فهو يكتسب الثقة والأمان منذ الصغر من خلال الرعاية والتجاوب مع احتياجاته، وتدعمه البيئة الموثوقة في تطوير مهاراته الحركية واللغوية.
- **التربية المعاصرة:** تشجع التعلم باللعب الحرّ والإبداعي، وتؤكد على الروتين الثابت والبيئة الآمنة والمليئة بالحنان. فالطفل يتعلم عبر المحاكاة والتجارب البسيطة، وتُنبَّه التربويات الحديثة على تجنب العقاب القاسي في هذا العمر.
- **التشابه:** تتلاقى الرؤية الإسلامية والحديثة في أهمية الحب والرعاية في السنين الأولى، وفي دور اللعب الطبيعي كمنهج للتعلم (حيث ترى الحضارة المعاصرة اللعب "رحلة تعليمية مبهجة" للمراحل من الولادة حتى 8 سنوات [6]).

المرحلة الثانية (7–14 سنة)

عند دخول الطفل هذه المرحلة (مرحلة المدرسة أو المراهقة الصغرى)، يصبح في الإسلام بمثابة "عبدٍ" للقيم والتعليم، فيتعلم الطاعة والأخلاق. تُركِّز التوجيهات النبوية والروحية على تنمية المعرفة والآداب والسلوك: فقد ورد عن النبي وأهل بيته تشجيع تعليم القراءة والكتابة والصلاة في هذا العمر [7] [8] ، وكذا تحفيز الأبوين على غرس الفضائل (كـ "علمه الحلال والحرام" في سنوات الصبا [8]). وعليه، تُعدُّ سنوات السبعة إلى الرابعة عشرة مرحلةَ بناءٍ أخلاقي ومعرفي أساسي. من الناحية النفسية، يكتسب الطفل في هذا العمر قدرات منطقية أوسع ويتخطى التفكير الحدسي، فقد دخل في مرحلة **العمليات الملموسة** (7–11 سنة) حيث يبدأ بالاستدلال والتصنيف، وتعلّم الحفظ والتدقيق المنهجي [9] . ويبدأ كذلك بمرحلة **الكفاءة مقابل النقص** (5–12 سنة) حسب إريكسون، حيث يتعلم القراءة والكتابة وحلّ المسائل بمفرده، ويزداد ارتباطه بالمدرسة وزملائه، فيصوغ مفهوم الكفاءة الذاتية من خلال إنجازاته الدراسية [10] .

التربية المعاصرة تضيف إلى ذلك منهجًا منهجيًا رسميًّا: فالمدرسة ترسّخ المهارات الأساسية (رياضيات، لغة، علوم) بالإضافة إلى الوعي بالقيم والقوانين الاجتماعية والدينية. تعترف التربويات الحديثة أيضًا بمرحلة **تنمية المشاعر والقدرات الإبداعية** ؛ لذا تشجع على التعبير الفني والرياضي وإتاحة قدوة إيجابية (فالمعلمون والأبطال الثقافيون قد يكونون قدوة الطفل في هذا العمر) [11] .

- **منظور ديني:** تعدُّ الروايات هذا العمر وقتًا للتنشئة والتعليم المنظم، فقد ذُكر "الولد عبدٌ سبع سنين" [12] ، إيّاهم بتلقّيهِ الأوامر الأخلاقية. يقول الإمام الصادق: «الغلام يلعب سبع سنين... ويتعلم الحلال والحرام سبع سنين» [8] ، وهذا يبرهن على أن الأساس الديني والفكري يُبنى هنا.
- **منظور نفسي:** الطفل بدأ في التفكير التحليلي واكتساب المهارات المدرسية؛ ففي نظرية بياجيه يكتسب القدرة على الفهم المنطقي للأشكال والحساب (مرحلة العمليات الملموسة) [9] ، ويبدأ بتقدير الذات بناءً على نجاحاته الدراسية [10] .
- **التربية المعاصرة:** تركز على تعليم القراءة والكتابة والقيم (مثل الصلاة، والاستقامة)، مع تنمية مهارات التفكير النقدي البسيط والتعاون المدرسي. كما تشجع التفاعل مع القدوات الصالحة والألعاب التعليمية والمنهجيات التشاركية. وقد أشار بعض المربّين إلى أهمية أن يرى الطفل نماذج إيجابية ليكوّن مفضلاته وقيمه وتوجهاته [11] .
- **التشابه:** في هذه المرحلة تتقاطع الرؤيتان الإسلامية والمعاصرة في أهمية بناء المعرفة والفضائل؛ فكلاهما يرى أن الطفل ينبغي أن يتعلم النظام والآداب والمعلومات الأساسية (كتعليم الكتابة، والصلاة، وفهم الحلال والحرام) مع مراعاة قدراته العقلية المتطورة [7] [9] .

المرحلة الثالثة (14–21 سنة)

يبدأ سنّ البلوغ والمراهقة (الشباب المبكّر) معناه في التراث الإسلامي أن يصبح الشاب "وزيرًا" لوالده في شؤون الحياة – مُقترنًا بخبرة الأب وتوجيهاته. وقد ورد في الحديث: «فإن رضيت خلائقه لإحدى وعشرين» [1] ، في إشارة إلى بلوغ الكمال حين يرضى الوالدان عن أخلاق الشاب عند عمر واحد وعشرين. ونقل الإمام الصادق (ع) تعاليمًا موجزة عن هذا العمر: "دع ابنك يلعب سبع سنين ويؤدّب سبع سنين والزمّه نفسك سبع سنين" [13] ، أي أنّه بعد لعب البراءة وتعليمه المباشر، يجب على الأهل أن يحترموه كصديق ويتقربوا إليه (أي يلزموه أنفسهم باللين والحوار). من منظور النمو النفسي، يواجه المراهق مفاهيم جديدة مع تسارع التغيرات الجسدية والعقلية؛ فهو يدخل مرحلة **التفكير المجرد** الكامل (Formal Operational)، فيصبح قادرًا على صياغة الفرضيات وحل المشكلات المعقدة [14] . وتتزامن هذه المرحلة مع طور **الهوية مقابل التشويش** عند إريكسون (12–18 سنة): حيث يبحث الشاب عن «من أنا؟ وما دوري في الحياة؟» ويصبح أكثر استقلالية وتخطيطًا للمستقبل (التعليم، العمل، الزواج، إلخ) [15] . توصي التربية المعاصرة في هذه المرحلة بتقليص القيود تدريجيًا ومنح الشباب مساحةً من الحرية المُوجّهة: حيث يشجع الخبراء على الحوار المنفتح والصريح مع المراهقين حول قراراتهم وأهدافهم، مع الاحتفاظ بدور الوالد الثابت (المصدر القوي للقيم والنصح) [16] . فمثلًا، يعتبر الثقة المتبادلة والنقاش حول مسؤوليّات الشاب من أهم مبادئ تربية المراهقين في العصر الحديث.

- **منظور ديني:** يُنظر إلى الشاب هنا كوزير (مستشار) للأهل؛ فيُستشار ويُكرَّم. وعلم الصادق (ع) بضرورة مراعاة الشاب واحترامه بعد هذه الأعوام [13] . ويشدد الإسلام على نقل الخبرة له (التجارب والمعارف)، وتعميق التفقه في الدين وبناء قدوة صالحة تُلائم بحثه عن استقامته [17] .
- **منظور نفسي:** المراهق يكوّن هوية ذاتية ويطالب باستقلاليته، وتزداد قدرته على التفكير النقدي والتخطيط المستقبلي [15] [14] . كما يتأثر كثيرًا بزملائه وبيئته، لذلك تؤكد النفسية المعاصرة دعم الحوارات المفتوحة والشبكات الاجتماعية الصحية في هذه السن.
- **التربية المعاصرة:** تُشجّع المشاركة التدريجية للشباب في اتخاذ القرار (البيت أو التخصص الدراسي)، وتكليفهم بمسؤوليات مناسبة (ريادة مشاريع، أعمال تطوعية) لتعزيز ثقتهم وشعورهم بالإنجاز. وتعد القيادة بمثال شخصي (قوة الفضيلة) من أهم أساليب تربية الشباب؛ فهما نفْسانيا يحتاجان لأن يُظهر الوالدان شجاعة الثبات على الحق التي أرشد إليها الرسول (ص) [16] .
- **التشابه:** تشترك الرؤية الإسلامية والحديثة في ضرورة «الصداقة الموجّهة» مع المراهق: الاحترام والتشاور من جهة، واستمرار غرس القيم الإيجابية من جهة أخرى. فكلاهما يدعو إلى منح الشاب قدرًا من الحرية الخاضعة للحدود المنطقية، وتوجيهه نحو نماذج قيمية صحيحة (دينياً واجتماعياً) حفاظًا على تكوين هويته الصالحة [17] [15] .

المصادر: نصوص الأحاديث وروايات الأئمّة المذكورة أعلاه [1] [13] [8] ؛ تعاليم التربية الإسلامية [17] ؛ والأبحاث والمراجع النفسية التربوية المعاصرة [4] [9] [14] [5] [6] [10] [15] [11] [16] .

---

1 2 3 7 8 12 17 شبكة المعارف الإسلامية:التربية الفعلية
https://almaaref.org/maarefdetails.php?subcatid=119&id=1312&cid=9&supcat=2&bb=33&number=9

4 9 14 نظرية المرحلة - ويكيبيديا
/https://ar.wikipedia.org/wiki
D9%86%D8%B8%D8%B1%D9%8A%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B1%D8%AD%D9%84%D8%A9%

5 6 Principles of Child Development and Learning and Implications That Inform Practice | NAEYC
https://www.naeyc.org/resources/position-statements/dap/principles

10 15 مراحل النمو النفسي الاجتماعي - ويكيبيديا
/https://ar.wikipedia.org/wiki
%D9%88_%D8%A7%D9%84%D9%86%D9%81%D8%B3%D9%8A_%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AC%D8%AA%D9%85%D8%A7%D8%B9%D9%8A%

11 16 The seven-year stages - Waldorf Inspiration
https://waldorfinspiration.com/en/the-seven-year-stages

13 الصداقة بين الأب والابن الفتى
https://ns1.almerja.com/more.php?idm=201483